العولمة والهوية الإسلامية
بين الرفض والقبول

أ ٠م٠ د ٠ باسم باقر جريو
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

يشهد عالمنا المعاصر اليوم تحديات خطيرة ومتغيرات كبيرة تتمثل بثقافة العولمة وموجة الإرهاب التي تضرب المجتمعات شرقاً وغرباً ، ومما لا شك فيه أن لهاتين الظاهرتين آثاراً كبيرة قد تؤدي إلى تغيير معالم تلك المجتمعات على الصعد كافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن التغييرات الدينية التي باتت تتأثر بفعل تلك الموجات المكثفة تحت غطاء تصدير ثقافة الغرب ، ووجوب مقاومة الإرهاب الدولي الذي بات يشكل خطراً يداهم الغرب بأكمله .

ونظراً للمتغيرات والإحداث المتسارعة التي يشهدها عالمنا اليوم حاول ساسة الغرب ولاسيما (الولايات المتحدة) وتحت مظلة التغيير والانفتاح من اجتياح بلدان الشرق وإسقاط الحواجز والهويات والثقافات وصهر الجميع في البوتقة الأمريكية .

الأسباب والدواعي

وتأسيساً لما سبق فقد ساقني الاهتمام لدراسة هذا المصطلح على صعيد المجتمع الإسلامي ، الذي أصبح بسبب ثورة المعلومات وتطور تقنيات الاتصال قرية صغيرة تتأثر بالأحداث التي تقع في أي دولة من دول العالم ، ومن المنطقي القول أن الغرب الذي عانى من صعوبة المواجهة في الطرح في إزاء العرب والمسلمين بسبب تفوقه التقني والعسكري يرفض كلياً أن يقترب من الفكر العربي الإسلامي ومناقشة طروحاتهِ وطبيعة أفكاره فبات يتصرف بجساسية شديدة في إزاء مفكري الشرق ، وبالذات المفكرين المسلمين في تقبل ثقافتهم لمعالجة الظواهر الدولية ، وبذلك تكون المجتمعات العربية والإسلامية في موقع المتلقي لتلك الثقافات ، والمنقطعة تماماً عن علوم وأفكار المجتمعات الشرقية .

إن ما يطلق عليه اليوم بالتيار اليميني المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة يشكل اليوم تياراً صهيونياً مسيحياً يربو على الـ (٥٠) مليون مؤمن بأفكار هذا الخط الذي

يعمل على تفريغ المجتمعات الإسلامية من نمط حياتها الإسلامية وذلك عبر ثلاث قنوات يتحرك فيها :

١- القوة العسكرية : والتي تتمتع بها الولايات المتحدة والتي يمنحها كقوة عظمى في العالم.

٢- القوة الاقتصادية : والتي تقوم على النمط الإقتصادي الرأسمالي الذي تسنده البنوك وصندوق النقد الدولي والشركات متعددة الجنسيات ، واقتصاديات الدول المساندة لإقتصاد الرأسمالي الأمريكي من الدول النامية .

٣- وسائل الاتصال والمعلوماتية من خلال الإعلام والأقمار الصناعية والفضائيات : إذ تعاني دولنا الإسلامية في عصر الإتصالات أكثر من أي وقت مضى لهذا النوع من الاختراق الثقافي بيوتها ومؤسساتها وأفرادها .

دور المفكرين المسلمين في مواجهة تحديات العولمة

لم يكن الإسلام فكراً (عولمياً) إنما فكراً عقائدياً تحررياً عالمياً قائماً على حرية الفرد في الاعتقاد (لا إكراه في الدين) والاقتناع به كدين وحضارة ، فعالمية الإسلام لا تشبه العولمة الغربية القائمة على أهداف سياسية واقتصادية مستقبلية خطيرة على مجتمعاتنا الإسلامية مما حتم على المفكرين أن يخوضوا بثلاثة موضوعات رئيسة أجد من المفيد التصدي لها .

أولاً : أثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية ، وتواصل المشاركة الإنسانية حضارياً . لما تحملهُ هذه الحضارة من نزعة في التطور والإبداع بسبب الإمكانات الهائلة والثروات المتعددة .

ثانياً : ظاهرة العولمة ولأثرها في الثقافة بالمجتمعات العربية والإسلامية فعولمة الغرب الثقافية لا تعني التأثير المتبادل ، وإنما تعني فرض أنماط وسلوكيات على الشعوب الإسلامية لتفريغها من إرثها الثقافي ، والزج بها لتنسجم مع مخططات وأهداف الثقافة الجديدة .

ثالثاً : مرتكزات القوة الأمريكية المساندة " للكيان الصهيوني " ضد الشعب الفلسطيني ، وتحدي مشاعر المسلمين عامة .

أثر المفكرين المسلمين عالمياً خارج إطار العولمة

نقصد بأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الانسانية ما قدمهُ المفكرون المسلمون للحضارة الانسانية عامة . فالحضارة نمط من أنماط المعيشة الانسانية ، وأنماط المعيشة الانسانية كثيرة جداً ، وكل هذه الأنماط تمثل حضارات لا يزال معظمها قائماً إلى اليوم في شتى أقطار العالم نسميها (الشعوب المتمدنة) أو المتقدمة ، وكل حضارة من هذه الحضارات على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها تنطوي على وجوه كثيرة من النشاط الانساني في الدين واللغة والفن والأدب ثم في السياسة والاقتصاد والتعليم وما إلى

ذلك . وفي هذا النشاط يقول الدكتور عمر فروخ : قال لي أستاذي يوسف هل (١٨٧٥-١٩٥٠) رحمه الله (إن لوثر لما وضع أسس الاصلاح الديني للنصرانية ، وما يعرف بالحركة البروتستانتية كان بلا ريب يضع أمامه نسخة من القرآن الكريم . ان القرآن الكريم كان قد نقل إلى اللغة اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر للميلاد نقله روبرت أوف تشتز . . ان الاصلاح في الديانة المسيحية جاء في سنة (١٥٤٠) مستمداً من الإسلام (١) . فإذا كان الاصلاح الديني في أوروبا المسيحية مقدمة للحضارة الغربية وهو أثراً من آثار الرسالة الإسلامية فكم يجب أن ندرك أثر الإسلام على جميع الأمم وفي وجوه الحياة كافة ، فمن المعلوم أن الحضارة الأوروبية الحديثة سئمت التقوقع الكنسي بما تحمله من أفكار ونظريات ، فقامت كردة فعل لتصرفات الكنيسة وموقفها المعادي للعقل وللعلم التجريبي .

أما أسس الحضارة الاوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي قامت مطلقاً في مختلف العلوم على التراث العربي الاسلامي من خلال ثلاثة مصادر الاندلس والحروب التي نقلت التراث الاسلامي إلى أوروبا وصقلية (٢) .

ولا يختلف أثنان على أن الكوميديا الإلهية لدانتي أحد رواد النهضة مستلهمة من رسالة الغفران للشاعر أبي العلاء المعري ، وان بنيتو ميكافيلي (٣) في كتابه (الامير) كان متأثراً بأفكار وتراث عالم الاجتماع العربي عبد الرحمن ابن خلدون (٤) .

وبعد مرور خمسة عشر قرناً من الزمان قدمت الحضارة الإسلامية وعبر فكرها الاصيل دروساً جمة من الكفاح والبناء والجهاد كان للمفكرين المسلمين الدور الابرز في الثقافة العربية الإسلامية ، وهذا ما يتجلى في عظمة أهدافها وتعدد مواضيعها ودورها الفاعل في بناء وتطوير وازدهار الثقافة الانسانية على أساسٍ من النهج العقائدي السليم ، وتوجيه النشء وجهة انسانية يحدد لها أهدافها وغاياتها ويكون لها الدور البارز في حماية الانسانية من التطرف والانحراف .

الغزو الثقافي الغربي والموقف الاسلامي :

وتأسيساً ما سبق فان هنا الأمر يقودنا إلى بيان الفرق الجوهري بين العالمية التي يدعو لها الإسلام ضمن إطار الحضارة الانسانية لجميع الأمم والشعوب ، والعولمة باطارها الفكري والثقافي والاقتصادي ، فاللعولمة ضمن إطارها الثقافي الغربي هي ((عقبة التحول الرأسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز

---

(١) د.عمر فروخ : اثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الانسانية / مجلة المؤرخ العربي / العدد (١٦) / بغداد / ١٩٨١ / ص٩

(٢) (ظ)جرجيس فتح الله : تراث الإسلام / بيروت / ١٩٧٨ /ط٣/دار الطليعة /ص ١٧٣ .

(٣) الميكافيلية : نسبةً إلى ميكافيلي رجل الدولة الايطالي ، وهو مذهب سياسي يمثل النظرة القائلة بأن السياسة لا علاقة لها بالأخلاق هذه المنطلقات اشار إليها ابن خلدون في كتابه العبر وتاريخ العرب والبربر تاريخ ابن خلدون / بيروت / ١٩٧١ / مؤسسة الأعلمي .

(٤) المصدر السابق .

وبقيادتها وتحت سيطرتها ، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ)) (١) لذا فان العولمة كما يميل بعض من المفكرين الاسلاميين إلى تعريفها بأنها ((ظاهرة شاملة مركبة لها أشكالها المتعددة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، غير أن هيمنة القطبية الأحادية الأمريكية على العلاقات الدولية قد جعلت منها ظاهرة عالمية مرتبطة بالتصورات الستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الأمريكية)) (٢) .ويتضح من ذلك أن الغزو الثقافي يعد من أبرز الأساليب المتبعة من قبل قوى العولمة الثقافية في صراعها مع الثقافة العربية الإسلامية . وهو غزو مبرمج ومخطط له وذو أهداف بعيدة المدى ، تقف وراءه مؤسسات اعلامية وسياسية وتجارية . هدفه اشعار العالم الاسلامي وبالتالي السيطرة عليه أي العصر هو العصر الامريكي وهو عصر الكتل والمؤسسات والانظمة والمناهج .

ولذا فان تدفق المعلومات عبر تقنيات المعرفة (الفضائيات ، مواقع الانترنيت ، الاعلام المقروء والمسموع) يقصد منه بث مفاهم جديدة في الوسط الاسلامي ، ومن ثم التوغل إلى منظومة القيم والمبادئ الاساسية للثقافة العربية والاسلامية والترويج لمفاهيم قوى عولمة الثقافة العربية والتي تتركز على سحق ثقافة المجتمعات الإسلامية التي يقف امامها المفكرون الاسلاميون بموجب الرافض لها ، فالتيار الاسلامي باتجاهاته كافة يعد اليوم اكثر التيارات تشدداً بشان الهوية ، والثقافة بعمقها الديني لم تجذبه حتى الان عولمة الثقافة .

ولاشك ان الاختراق الثقافي يمثل احد المداخل المهمة التي تهدد الجانب الثقافي الاسلامي والعقائدي تحت طائلة الانفتاح والتعاطي مع مجتمعاتنا الإسلامية لاحتوائه وبالتالي الهيمنة عليه عبر قنواته المتعددة من خلال النموذج الامريكي الذي ينظر إلى هذه الثقافات على أنها ((ثقافات نخبة أو صفوة ، وهي ثقافات مكبلة بالقيود ، هي ثقافات ذات توجيهات دينية ، وهي ثقافات تستخدم لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من الصفوة أو من رجال الدين ، ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة إليه أو الغازية لمجتمعه)) (١) .

ويقدم الدكتور الجابري وصفاً لحالة الاختراق الفكري الذي مارسهُ دعاة العولمة بقولهِ ((أخذت تنتشر في الأوساط التكنوقراطية عندنا وفي الأوساط الصحفية التي تنقل عنهم مصطلحاتهم وأفكارهم فتكررها بوصفها تعبر عن أفكار جديدة نسمعهم يقولون مثلاً هناك ثقافتان ثقافة الانفتاح والاختلاف والديمقراطية ، وثقافة أخرى لا يجرأون على وصفها بالوصف الذي يرضي ميولهم ينسبونها إلى حقبة زمنية ماضية إلى

---

(١) ظ : د. صادق جلال الفطم : ماهية العولمة / مجلة الطريق / العدد ٤ تموز / آب ١٩٩٧ / ص ٣٤ .

(٢) د. حسين علوان حسين : ظاهرة العولمة وأثرها في الثقافة العربية من بحوث مركز الدراسات الدولية / جامعة بغداد / ١٩٩٩ .

(١) د. عبد الجليل كاظم الوالي : العولمة والثقافة / مجلة المستقبل العربي / العدد ٢٧٥ / ٢٠٠٢ / مركز دراسات الوحدة العربية / ص ٦٣ .

الخمسينات والستينات)) (٢)وهنا يروج الدكتور الجابري لثقافة العولمة ويصف الثقافة العربية الإسلامية إلى حقبة زمنية مضت .

اذن السؤال الذي يدور حالياً ، هو : كيف يمكننا أن نواجه سلبيات العولمة والتصدي لمفاهيمها الخاطئة ؟ الجواب هو لابد من وجود بدائل تتجلى بعد تجاوز حالة الانحطاط الفكري والارتقاء بالعقلية الإسلامية ، وتنمية روح الأمل من خلال التذكير بعالمية الحضارة العربية عبر القرون الماضية ، ومن ثم الارتقاء إلى مستوى المشاركة بالتطور الانساني الحضاري المعاصر ((فالعولمة لا تمضي من طريق سهل فالمجتمعات الانسانية تملك منظومات من القيم والعقائد التي تحمي الشخصية وتحول دون ضياع هويتها ، وتؤمن حداً مناسباً من الخصوصية أي أن للعولمة مضادتها من القيم الثقافية ذات المضمون الروحي والانساني)) (٣) وبعكسه ستقع المجتمعات الإسلامية تحت مفهوم عولمة الثقافة بعد تطور وسائل الاتصال بقنواتها المتعددة . ونعني بذلك خلق وصياغة أنموذج ثقافي عالمي عبر تعميم قيمهِ ونشر آرائه على العالم أجمع ، وبذلك يفقد النموذج الاسلامي أصالة المشاركة الفعلية ، وهذا الأمر يتطلب منا التمسك الشديد بالثقافة الإسلامية واستنفار إمكاناتها لما تحمله من قيم إنسانية أصيلة في جوهرها منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا .

لقد ترتب على ثورة المعلومات وتقنيات الاعلام وسعة العلوم والمعارف والثقافة إشاعة الثقافة الأمريكية والغربية بين الشعوب الإسلامية في محاولة تهدف إلى فرض القيم الامريكية والانموذج الغربي على الشعوب كافة بوصفه أنموذجاً يمثل الكونية بأكملها بحيث يحل محل الحضارات في العالم ومنها الإسلامية ، ويشكل نوعاً جديداً من الايدلوجية يجري تداولهُ من جميع الشعوب ويعد صالحاً لها .

إن تأثير السياسة الأمريكية ودو الغرب تجلت من خلال مبالغتها في فرض سياسة العولمة بالقوة العسكرية أو التأثيرات الثقافية والسلوكية عبر الفضائيات ووسائل الإعلام المتخصصة في نشر الاباحية في المجتمعات العربية والاسلامية والذي سيقود حتماً إلى ظهور موقفين في تلك المجتمعات أولهما ويمثل الخط المعتد الذي يحاول المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية من خلال اللجوء إلى التراث العربي الاسلامي والتذكير بماضي الأمة الذهبية يوم كانت الحضارة العربية تصدر نتاجها الفكري والسياسي لحضارات العالم .

وثانيها للموقف المتطرف والرافض تماماً محاسن العولمة وجوانبها المشرقة بوصفها شراً خطيراً ونتيجة للموقف الأخير تتولد أفكار تدعو إلى مقاومة ثقافة الغرب عموماً وعبر وسائل متعددة كالعنف مثلاً بعيداً من منطق الحوار والتأثير المتبادل وبهذا فإن صراع العولمة مع ثقافة المجتمعات العربية الإسلامية ستقود حتماً إلى التصادم مع

---

(٢) الجابري : العولمة والهوية الثقافية الإسلامية / مجلة المستقبل العربي / العدد ٢٢٨ / ١٩٩٨ / ص ١٧ .

(٣) د. ناهدة عبد الكريم حافظ : دور القيم في مواجهة مخاطر العولمة / مجلة الأجيال / العدد (١) ٢٠٠٢ / ص٨٦ .

المشروع الأمريكي الغربي ، في حين أن العديد من مفكري الإسلام يدعو إلى حوار الحضارات وليس إلى صدام الحضارات (*) كما تقود مفاهيم العولمة .

ومما تقدم يظهر أننا نحن أمام تيارين متناقضين أحدهما يدعو إلى الاعتدال عبر الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية ، والآخر يطالب بمقاومة العولمة والدفاع عن خصوصيتنا والحفاظ عليها .

ويقدم لنا الدكتور محمد عابد الجابري في الأطروحة العاشرة للحاجة إلى الدفاع عن الهوية الثقافية قبال اكتساب الأدوات اللازمة لدخول عصر العلم والثقافة بقوله: ((نحن في حاجة إلى التحديث أي الانخراط في عصر العلم والثقافة كفاعلين مساهمين ، ولكننا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا القومية وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم والتقانة)) (١) .

في حين يرى البعض الآخر أن سبب الرفض وعدم قبول العولمة بإطارها الجديد قد يكون لعدم قيامها على أسس عقلية واضحة الأمر الذي يفقدها روح المجابهة بينها وبين الشريعة الإسلامية ، أو على أقل تقدير إمكان إجراء حوار متبادل لوجود قواسم مشتركة بين الطرفين ((إن بعض التيارات الإسلامية تشعر بالهلع غالباً حين يتعلق الأمر بالتفاعل مع الخارج والسبب أن دور البناء على العقل مفقود لديها . إن القناعة المبنية على الأسس العقلية لا يمكن أن تنهزم في حالة الدخول في مواجهة فعلية مع الثقافة المعاصرة في المواقع التي تتحقق فيها المصادمة . والانسان المعتز بحضارته ودينه وانتماءاته المذهبية لا يخشى الدخول في مواجهات حضارية مع العناصر المطروحة فعلاً فالعولمة تفتح الباب فيما لو قمنا بترشيد الفكر الإسلامي وطرحه بما يتناسب مع الحالة المعاصرة ، وهو سيكون الفكر المنتصر والذي سيتمكن من حسم المعركة الثقافية لصالحه)) (٢) .

اذن فلابد من مواجهة المستجدات التي اجتاحت بلادنا الإسلامية بأفق واسعة ورؤى واضحة تعتمد على تشخيص الأخطاء وتدعيم الايجابيات بشكل يخدم أسسنا الدينية والمذهبية ، وهذا لا يتم إلا عن طريق استيعاب المرحلة الجديدة بكل ما فيها للخروج من دائرة التقوقع اللامسؤول الذي قادنا إلى هذه النتيجة عبر الاستغلال الأمثل للفرص المبينة على أسس عقلانية والتفكير على مستوى هموم عالمنا الاسلامي فإذا كان حراماً فما الدليل ؟ وإذا كان حلالاً أو جائزاً فلمَ هذا الانزواء في دائرة ضيقة

(*) هذه الاطروحة تتحدث عن المستقبل وتنذر بخطر المواجهة والحروب وتدعو صرامة إلى أخذ احيطة والاستعداد أو للدفاع عن النموذج الحضاري الامريكي وعن المصالح التي يقوم عليها ، وبالتالي تخصيص ما يلزم من الاموال لذلك (ظ) .

(١) العرب والعولمة : بحوث الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية / ط١ / ١٩٩٨ / بيروت / ص ٣٠٧ .

(٢) حسن بحر العلوم : العولمة بين التطورات الإسلامية والغربية / معهد الدراسة العربية والاسلامية — لندن / ط٢ / ٢٠٠٣ / ص ١٤٩ .

والذي يضر بمصالحنا ويقعدنا عن عوامل الاستجابة والتطور التي بات عالمنا اليوم بمسيس الحاجة إليه لبلوغ الرقي والتقدم وعلى الصعد كافة .

لقد ازدادت الخيارات واتسعت المجالات وبات الأفق واسعاً للاختيار ، فلابد من نبذ التحجر والانغلاق الرافض للتعامل ، فالذهنية السابقة تمنع وتكفّر من يتعامل مع العولمة بشكل يخالف نزعة الإسلام واتجاهاته بما يحمله من ميل إلى التطور والتقدم والابداع والابتكار وتنمية ما لدى الإسلام من مواهب وإمكانات من شأنها أن تزيد وتائر التطور في الحياة .

الإعلام أحد أذرع العولمة

شكل الاعلام بكل قنواته (الدعائية المسيسة ، والثقافية والترفيهية ، أحد أهم قنوات التبشير بظاهرة العولمة ، فإدخال النموذج الغربي في كل فاصل الحياة يشكل خطراً يهدد الشخصية الإسلامية ، من دون مراعاة للمحاذير والتحفظات والخصوصيات التي تتمتع بها الأمم والشعوب مما يتنافى وروح الشريعة الإسلامية وثوابتها المعتمدة . فروح التفسح الأخلاقي والتفكك الأسري أصبحَ من السمات البارزة للمجتمعات العربية التى لاقت فيها ظاهرة العولمة مرتعاً خصباً ، بعد أن فقدت مقومات المواجهة والرفض كل ما هو غريب ووافد .

فعالمنا اليوم يشهد سلسلة من المتغيرات السريعة السياسية والاقتصادية والإعلامية التي تؤثر ، حتماً في المقومات الفكرية والاجتماعية والعقائدية ، وعالمنا الاسلامي في ضوء هذه المتغيرات والطروحات من دعوى ((نهاية التأريخ)) ، وأخرى تنظر باتجاه ((صدام الحضارات)) وثالثة تدعي أنِ القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً ، ورابعة تسعى من منظور صهيوني - أمريكي بحت لبناء ما يسمى بـ ((شرق أوسط كبير)) هدفاً سياسياً من دون الحاجة إلى جهود واجتهاد ، فالمسألة باتت واضحة الأهداف والمعالم لاعتبارات عدة لعل فى مقدمتها العمق الفكري العقائدي والديني لعالمنا الاسلامي ، التي انبثقت منه أسس الحضارة كما في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد فارس وبلاد الشام ، إلى جانب موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يكاد يتوسط العالم ، ناهيك عما يمتلكه عالمنا الاسلامي من ثروات هائلة وإمكانات كبيرة جعلتهُ محطة أنظار العالم .

من خلال ما تقدم يتضح أن عالمنا الاسلامي هدفاً مشروعاً حاضراً ومستقبلاً في ذهن الغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاً ، ولتحقيق هذا الهدف شرع الامريكان وحلفاؤهم من الغربيين بطرح مشروع ((العولمة)) مشروعاً عصرياً تسعى من خلالهِ إلى الاستحواذ على مقدرات العالم ولا سيما عالمنا الاسلامي ، ولتعزيز هذا المسعى شرعت بحملة اعلامية فكرية استعملت كافة الادوات وعبر قنواتها المتعددة وبأعلى الامكانات المتوافرة من تكنلوجيا المعلومات إلى استعمال الفضائيات هدفها الأساس اختراق منظومتنا الإسلامية لاستقطاب النشئ الجديد من خلال برامجها التي من شأنها على المدى القريب سلخ المجتمع المسلم من أصالته الإسلامية ومبادئه وقيمه سبيلاً للقضاء

على العمق العقائدي وجذوره الفكرية انسجاماً منهم على إسقاط الحواجز والهويات والثقافات على المدى البعيد .

ونتيجةً لضعف الإعلام العربي وهشاشة تركيبة النظام السياسي العربي والإسلامي وطبيعة العلاقة التنافسية بين المسلمين والغرب برزت على السطح قوة تأثير وسائل الاعلام الغربية في المجتمعات الإسلامية ، وفي مواجهة هذا التدفق الكثيف للأخبار والمعلومات عن ظاهرة العولمة من وجهة نظر غريبة كان من الواجب على الدول العربية والاسلامية أن تضع استراتيجية علمية للإعلام العربي الاسلامي . . للنظر في المستجدات والمتغيرات وإيجاد البدائل لهذه الظاهرة في حالة رفضها مطلقاً من قبل المجتمعات الإسلامية كونها ثقافة بديلة للثقافة العربية الإسلامية (١) .

إن الغزو الاعلامي الأمريكي المبرمج ذات الأهداف الواعدة والتي تمارسه المؤسسات الأمريكية جعل الشريحة الأكبر من الشباب في المجتمعات الإسلامية يتأثر بالثقافات الوافدة إليه عبر أجهزة الاتصال التي لعبت دوراً مؤثراً في اختراق المنظومة الثقافية الإسلامية كما ((إن مشاغل الحياة وتعقيداتها ستدفع بالفرد في مجتمعاتنا إلى الميل نحو البرامج الترفيهية والتسلية أكثر منها نحو المعلومات العلمية النافعة . . التي أصبحت تشكل الحصة الأكبر فيما يبث من القنوات الفضائية الوافدة إذ يقدم من خلالها الأنموذج الأمريكي للثقافة لجعله النموذج العالمي الذي يتوجب على الآخرين تقليده وتبنيه)) (٢) .

وفي مطلع التسعينيات اتسع نطاق البث التلفزيوني الدولي الفضائي وأصبح العالم بما فيه المجتمعات الإسلامية تحت تغطية عدد كبير من القنوات التلفزيونية والناطقة بلغات شتى ، وتعد هذه الفضائيات واحداً من العوامل التي تحدّ في رجوع نسبة عالية من الشباب في المجتمعات العربية والاسلامية إلى الكتب ذات المضمون الفكري العميق (١) .

إن انعدام الثقافة السياسية وغياب الديمقراطية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية بسبب شخصنة السلطة وانعدام دور المؤسسات ووقوع المجتمعات تحت خط الفقر الدولي نتيجة السياسات الاقتصادية الفاشلة لتلك الحكومات وتبعيتها لهيمنة الدول الكبرى في العالم ، قاد إلى الجهل في التعامل مع النظام العالمي الجديد ، بل أكثر من ذلك فقد تسبب الاضطهاد بكل أنواعه إلى غياب الرأي العام في مجتمعاتنا الإسلامية ((فللرأي العام في أي بلد من البلدان عوامل تكوينية منبعثة من تاريخه وتقاليده وظروفه البيئية وتراثه الثقافي ومناخهِ النفسي وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومن تجاربه الذاتية وما يصْله من تجارب البلدان الأخرى وهذه العوامل كثيرة

---

(١) د. كاظم مسلم العامري : بحث من إصدارات مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة / ٢٠٠١ / ص٣ .

(٢) كنعان خورشيد عبد الوهاب: عولمة الثقافة / المخاطر وكيفية المواجهة / دراسة اجتماعية / مجلة بيت الحكمة / بغداد / العدد (٦) / السنة الثانية / ص٥.

(١) د. هادي نعمان الهيتي : التلفزيون الدولي وشيوع ثقافة الصورة في ثقافة الشباب العربي / بحث منشور في مجلة آفاق عربية / بغداد / كانون الثاني / ١٩٩٧ / ص٢١-٢٢ .

ومتشابكة كما أنها تتفاعل مع بعضها تفاعلاً دينامياً لتكوين موقف جماهيري عام من القضايا الداخلية والدولية في تلك المجتمعات)) (٢) .

وبسبب الظروف السابقة بقي الرأي العام بعيداً عن ساحة التفاعل الايجابي التي تحتمه طبيعة المستجدات العالمية المتسارعة ، فقد بقي الرأي الاسلامي مشتتاً أمام فهم إيجابيات العولمة وسلبياتها ، كما أننا نعيش عصر تلقي المعلومات من الغرب فضلا عن ذلك فإننا وجدنا المفكر الاسلامي غائب تماماً عن التأثير في مجتمعاته للتنبيه إلى مخاطر العولمة أو الإشارة بإيجابياتها على وفق ما تتقبله المجتمعات العربية والاسلامية وترفضه (٣) . كما أن الغرب جعل من السيطرة على وسائل الإعلام سلاحاً جديداً في ترسانته لمهاجمة المجتمعات العربية والاسلامية ، وبات المواطن في تلك المجتمعات لا يفرق بين ثقافة الإرهاب وثقافة الجهاد المطلوب للحفاظ على كياناتها الاجتماعية والدينية ((ومن هنا تزايد حرص الولايات المتحدة الأمريكية على بث أفكار الرعب عن الإسلام التي تقدم على أنه خطر يهدد مصالحها والسلام العالمي عموماً ، وكذلك محاولة ربط الدين الاسلامي بالتطرف والارهاب والقتل والتخريب ، وتصوير طبيعة عدوانية الفرد المسلم .. ناهيك عن تلك النظرة التي تحمل تجاهلاً للحقائق الموضوعية بتجنيها على طبيعة نظام الحكم في الإسلام وعدهُ أنموذجاً صرفاً لتمركز السلطة وقمع الرأي الآخر)) (١) .

ولكي ندرك أن الاعلام أهم أذرع ظاهرة العولمة لإنجاح عولمة الثقافة في المجتمعات العربية والإسلامية لابد من أن نشير إلى أن العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين شهدت تطورات تقنية كبيرة في مجال تبادل المعلومات ووسائل الاتصال فمنذ عام ١٩٦٨ أنتج العالم من المعلومات ما يعادل إنتاج (٥٠٠ سنة) سابقة ، كما ينتج اليوم أكثر من (٢٠) مليون يومياً تستغرق قراءتها شهراً ونصف وإن نسخة واحدة من عدد صحيفة ((نيويورك تايمز)) تحتوي على معلومات يمكن أن يكتبها أوربي في القرن السابع عشر طيلة حياته (٢) .

إن مواجهة العولمة لا يعني التقوقع والانزواء في دائرة ضيقة ، بل يتطلب منا وضع آلية للعمل الجاد عبر استراتيجية علمية دقيقة تستوعب الأحداث والمتغيرات الجديدة على أسس من الحوار الموضوعي لكل ما هو مفيدٍ ونافع ، وطرح كل ما هو ضار ومنافٍ للعقل والدين ، فلا غرو أن نسعى نحن الشعوب الإسلامية إلى إيجاد آليات متكاملة لمقاومة هذا الزحف الخطير عبر إعداد برامج وطرق مخاطبة تستطيع عبر تضافر الجهود والطاقات أن تنافس الاعلام الغربي بكل قنواته وتسعى إلى استقطاب النشئ الجديد لتحصينهِ من مغريات الاعلام الفضائي المشحون بالعنف والجنس الذي راح يغزو ساعات البث التلفزيوني الأمر الذي يكشف عن الدور المتعاظم لحالة الشذوذ

---

(٢) السيد عليوه : الرأي العام وأجهزة الإعلام في الوطن العربي / القاهرة / ١٩٧٨ / ص ١٧ .

(٣) السيد عليوه : مصدر سابق / ص١٥ .

(١) مجلة الأجيال : تصدرها نقابة المعلمين / العدد الأول / نيسان ٢٠٠٢ / ص ١٥٢ .

(٢) ينظر : قيس هويدي / ثورة الاتصال بين النعمة والنقمة / المجلة / العدد ٩٢٨ في ٢٩ / ١١ / ١٩٩٧ / ص ٢٥ .

الغربي في الوسط الاسلامي من خلال دعوته للانفتاح والتعاطي مع المستجدات على وفق الموضة والصرعات الأمريكية أو الغربية .

وفي ضوء المخاطر السابقة فإن المسؤولية الإسلامية لمواجهة مخاطر العولمة تكمن من خلال بلورة استراتيجية اسلامية تستند إلى جملة من المقومات تأخذ صيغ وأشكال متعددة من أهمها :

١- فتح فضائيات خاصة تسعى لطرح قضايا الأمة العربية والاسلامية بأساليب حديثة لا تثير الكلل والملل ، تعتمد الموضوعية والحقائق في طرح موضوعاتها .

٢- إعداد برامج وثائقية وثقافية تناقش أموراً تتعلق بالعلاقات التأريخية للاسلام مع الغرب ، وبيان عوامل الطرح وأسباب الصدام بصورة علمية دقيقة وموجزة .

٣- السعي لإشراك النشئ الجديد والشباب عن طريق الاتصال أو الحضور المباشر إلى برامج القنوات للمشاركة في الحوار والنقاش البناء ، وقوفاً عند هواجسهم وطروحاتهم لا القفز عليها ، وغض الطرف عنها ، ومن ثم يتسنى لنا من بناء شخصية سليمة من دسائس الاعلام المغرض .

٤- إعداد برامج دينية تعرض قضايا الدين والعقائد بصورة شفافة وبلغة عصرية يفهمها النشئ الجديد والشباب بما يتوافق مع تطلعاتهم الإسلامية .

٥- اختيار نخبة من المختصين من أهل الدراية والمعرفة والأكاديميين لإجراء بحوث تخصصية حول (حوار الحضارات) من خلال الخطاب الإسلامي المعاصر الذي يعتمد على البرهان العلمي في طروحاته .

٦- إرسال إعلاميّ ومعدي البرامج الفضائية الإسلامية إلى الخارج للاطلاع على ما يجري في المؤسسات الاعلامية ، حتى وإن كانت في الغرب ، فالغاية معرفة تقانة العمل الاعلامي وليس الجمود على الأساليب القديمة المستهلكة .

هذه أهم المقومات الأساسية التي لا يمكن إغفالها في أي عمل إسلامي لمواجهة الإعلام الغربي المتطور والمتنامي في وسائله وطرق معالجاته للأحداث والمتغيرات التي يشهدها عالمنا المعاصر .

مصادر البحث

١. حسن بحر العلوم : العولمة بين التطورات الإسلامية والغربية / معهد الدراسات العربية والإسلامية / لندن / ط٢ / ٢٠٠٣ .

٢. حسين علوان حسين : ظاهرة العولمة وأثرها في الثقافة العربية من بحوث مركز الدراسات الدولية / جامعة بغداد / ١٩٩٩ .

٣. السيد عليوه : الرأي العام وأجهزة الاعلام في الوطن العربي/القاهرة/١٩٧٨ .

٤. صادق جلال العظم : ماهية العولمة/ مجلة الطريق/ العدد (٤) تموز/آب ١٩٩٧.

٥. عبد الجليل كاظم الوالي : العولمة والثقافة / مجلة المستقبل العربي / مركز دراسات الوحدة العربية / العدد (٢٧٥) / ٢٠٠٢ .
٦. عمر فروخ : أثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الانسانية/مجلة المؤرخ العربي /بغداد / ١٩٨١ / العدد (١٦) .
٧. قيس هويدي : ثورة الاتصال بين النعمة والنقمة / المجلة / العدد (٩٢٨) في ١٩٩٧/١١/٢٩ .
٨. كاظم مسلم العامري : العولمة والاعلام / بحث من إصدارات مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة / ٢٠٠١ .
٩. كنعان خورشيد عبد الوهاب : عولمة الثقافة المخاطر وكيفية المواجهة / دراسة اجتماعية / مجلة بيت الحكمة / بغداد / العدد (٢٦) / السنة الثانية .
١٠. هادي نعمان الهيتي : التلفزيون الدولي وشيوع ثقافة الصورة في ثقافة الشباب العربي / مجلة آفاق عربية / بغداد ١٩٩٧ .
١١. محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الإسلامية / مجلة المستقبل العربي / العدد (٢٢٨) /١٩٩٨.
- قضايا في الفكر المعاصر / مركز دراسات الوحدة العربية/بيروت/١٩٩٧/ط١ .
١٢. ناهدة عبد الكريم حافظ : دور القيم في مواجهة مخاطر العولمة/مجلة الأجيال / العدد (١) / ٢٠٠٢ .